**الرّواية العربيّة المعاصرة:**

**الرّواية والتّاريخ**

**مفتتح**

إن ارتباط الرواية بالتاريخ هو ارتباط نشأة ومادة، فقد عرفت الروايات الأولى بشكلها التاريخي، كروايات جورجي زيدان مثلا، وهي روايات استهدفت التاريخ بحثا عن مظهر واضح لإطارها التعبيري، وذلك بملء الفراغات التي سكتت عنها الأحداث والروايات التاريخية المثبتة في المراجع، كما عرفت فيما بعد ببحثها عن وقائع تاريخية تصلح مادة لموضوعها الروائي، من أجل إثبات موقفها تجاه قضايا واقعها السياسي أو الاجتماعي أو كليهما معا، وهذا لا يعد هروبا من الواقع إنما استجلاء له، فقد ينظر إلى التاريخ لا بوصفه مادة تحوي أحداثا فائتة، إنما بوصفه عالما ينطوي على مقدمات لأزمة الحاضر، ثم إن هدف الرواية لا يتعلق ببحث التاريخ بغية إيجاد مبررات لأزمة الواقع، إنما يكمن في الحلول التي تمكنها من تجاوز حاضرها نحو المستقبل بمواقف ثابتة.

**1- نجيب محفوظ**

**أ- سيرته**

نجيب محفوظ عبد العزيز أحمد إبراهيم الباشا (1911- 2006) روائي مصري، بدأ مشواره الإبداعي مترجمًا وكاتبا (1932)، وهو ما زال طالبا في قسم الفلسفة بجامعة القاهرة التي التحق بها عام (1930م)، وتحصل منها على شهادة الليسانس عام (1934م)، وحينما شرع في استكمال دراساته العليا، وإعداد رسالة الماجستير عن الجمال في الفلسفة الإسلامية، لم يستطع بسبب ميله الشديد للأدب، فعدل عن الدراسة لأجل التركيز على الأدب، عمل سكرتيرا برلمانيا في وزارة الأوقاف (1938- 1945)، ثم مديرا لمؤسسة القرض الحسن في الوزارة حتى عام (1945م)، وعمل بعدها مديرا لمكتب وزير الإرشاد، ثم مديرا للرقابة على المصنفات الفنية بوزارة الثقافة، كما عمل مديرا عاما لمؤسسة دعم السينما (1960)، ثم مستشارا عاما للمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتلفزيون، وآخرها كان رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما (1966- 1971)، حيث تقاعد وأصبح أحد كتاب مؤسسة الأهرام، وقد نال جائزة نوبل للآداب، على مجمل أعماله، وتأتي في مقدمتها روايته “أولاد حارتنا“، الرواية التي منع صدورها في مصر، وتسببت في محاولة اغتياله عام (1995)، حيث أقدم شابان على طعنه في العنق لاتهامه بالكفر الخروج عن الملة في روايته المذكورة**([[1]](#footnote-1))**.

**ب- من مؤلفاته**

**- القصة**

همس الجنون (1938)، خمارة القط الأسود (1969)، حكاية بلا بداية ولا نهاية (1971)، الشيطان يعظ (1979)، صباح الورد (1987)، القرار الأخير (1996)، أحلام فترة النقاهة (2004).

**- الرواية**

الثلاثية التاريخية: عبث الأقدار (1939) ورادوبيس (1943) وكفاح طيبة (1944)، القاهرة الجديدة (1945)، خان الخليلي (1946)، زقاق المدق (1947)، السراب (1948)، بداية ونهاية (1949)، ثلاثية القاهرة: بين القصرين (1956) وقصر الشوق (1957) والسكرية (1957)، اللص والكلاب (1961)، السمان والخريف (1962)، ثرثرة فوق النيل (1966)، ميرامار (1967)، أولاد حارتنا (1968)، الكرنك (1974)، رحلة ابن فطومة (1983)، قشتمر (1988).

**- السيناريو**

المنتقم (1947)، ريا وسكينة (1953)، فتوات الحسينية (1954)، شباب امرأة (1957)، مجرم في إجازة (1958)، جميلة (1958)، أنا حرة (1959)، بين السما والأرض (1960).

.**جـ- ثلاثيته التاريخية**

يعود سبب اشتغال نجيب محفوظ على الرواية التاريخية إلى الظروف السياسية القاهرة التي تنازعت مصر في تلك الفترة، وهي: احتلال بريطاني طامع، ونظام ملكي فاسد، حدث تحالف بينهما وبين القوى الإقطاعية، من أجل قمع القوى الوطنية الهادفة إلى التحرر والديمقراطية والنهضة، كما سنتبينه في رواياته الثلاثة الآتية:

**- عبث الأقدار**: رواية تستلهم حكاية الفرعون خوفو بشكل يجعلها، في الظاهر، تنفتح على حكاية الحقيقة القدرية، التي تتجاوز الإرادة والتخطيط البشريين، إلا أنها تحرص، في الباطن، على تجسيد حكاية انتقال السلطة من فرعون إلى أحد أبناء الشعب الجنوبيين، ومن سلالة دينية إلى أخرى أقرب إلى روح الشعب**([[2]](#footnote-2))**.

**- رادوبيس**: رواية جسدت موقف محفوظ الفني الجديد؛ وهو موقف يلغي القدرية ويكرس الحتمية من أجل التغيير المجتعي، وذلك بالتركيز على النقد الاجتماعي العام للأفعال والسلوكات، والتحفيز غير المشروط على الفعل الإرادي، يظهر ذلك كله من خلال تعويل الرواية على وصف العلاقات القائمة بين:

رادوبيس، وهي فاتنة دخيلة، مستبدة، مسيطرة، وتحظى بكل الامتيازات الكائنة، بحيث تتجه حركة التوصيف إلى إخراجها بمظهر المحتل البريطاني، الذي استحوذ على إرادة الملك وحاشيته، بهدف استغلال خيرات الوطن.

فرعون، ملك يظهر بصورة المتعارض مع مشاعر رعيته الوطنية والدينية، إذ تظهره الرواية مستبدا ومهملا لواجباته تجاه الملكة والرعية، كما تظهره بصورة الخاضع بسبب نزقه لرادوبيس ورغباتها، مما يجعله مظهرا بارزا للحكم المصري.

الملكة وباقي الرعية، وهم الشعب الضائع بين جشع الاحتلال ونزق الحكام، وعلى رأسهم الملكة التي حاولت سياسيا إقناع الملك بالرجوع وامتلاك زمام الحكم، حينها أفضى الصراع إلى انتفاضة شعبية قادها نخبة من أبناء الشعب الغيورين على وطنهم، انتهت بمقتل فرعون بواسطة سهم سدده نحوه أحد أبناء الشعب **([[3]](#footnote-3))**.

**- كفاح طيبة**: رواية ترتبط بدعوة صريحة، تقوم على فكرة البحث عن الهوية المفقودة، وحتى يتأتى الأمر ينبغي اجتثاث الاحتلال والحكم والإقطاعيين بالمرة، بالتركيز على العمل المنظم والموجه سياسيا وعسكريا، فوردت رواية كفاح طيبة ملخصا دقيقا وكاملا لهذا الموقف، حيث تجسدت في حكاية فرعونية تتصل بتحرير المصريين من حكم الهكسوس المحتلين القادمين من الشمال**([[4]](#footnote-4))**.

**2- واسيني الأعرج**

**أ- سيرته**

واسيني الأعرج (1954) أكاديمي وروائي وناقد وكاتب قصة جزائري، من مواليد سيدي بوجنان، إحدى قرى مدينة تلمسان، حصل على البكالوريوس في الأدب العربي من جامعة الجزائر، تحصل إثرها على منحة حكومية مكنته من الانتقال إلى سوريا لمتابعة دراسته العليا، فحصل على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعة دمشق، ثم عاد إلى الوطن ليشتغل أستاذا محاضرا في جامعة الجزائر، لكن ظروف العشرية السوداء، التي هددت حياته على غرار المثقفين الجزائريين أمثاله، اضطرته إلى مغادرة الجزائر إلى تونس عام (1994)، وبعد أن قضى فيها وقتا قصيرا انتقل إلى فرنسا، واشتغل أستاذا للأدب العربي في كلية جامعة السوربون الجديد**([[5]](#footnote-5))**.

**ب- من مؤلفاته**

**- القصة**

أسماك البر المتوحش (1981).

**- الرواية**

طوق الياسمين (وقع الأحذية الخشنة) (1981)، ما تبقى من سيرة لخضر حمروش (1982)، نوار اللوز (1983)، سيدة المقام (1995)، حارسة الظلال (1986)، شرفات بحر الشمال (2001)، كتاب الأمير (2005)، البيت الأندلسي (2010)، جملكية أرابيا (2011)، مملكة الفراشة (2013)، سرة المشتهى عشتها كما اشتهتني (2014)، رواية 2084 (2015)، نساء كازانوفا (2016).

**- الدراسات النقدية**

اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (1986)، النزعة الواقعية الانتقادية في الرواية الجزائرية (1987)، الجذور التاريخية الواقعية في الرواية (1988)، أتوبيوغرافيا الرواية، سلسلة دراسات (1990)، ديوان الحداثة في النص الشعري الجزائري (1993)، موسوعة الرواية الجزائرية، أنطولوجيا النصوص والكتّاب (2006).

**جـ- من روايته التاريخية**

الحقيقة أن واسيني الأعرج قد يتبدى من الوهلة الأولى أنه مهووس بالتاريخ، فالنظرة الأولى لعناوين رواياته، ثم القراءة المتأنية لمتونها، تظهر التاريخ بتنويعاته المختلفة: الحوليات، السير، الأساطير، الخرافات، والحكايات الشعبية، كما تظهره بهوياته المتنوعة: العربية، الجزائرية، المغاربية، والعالمية، مما يجعل بحثه التاريخي فضلا عن مسرد لاستكمال الذاكرة الوطنية، يجعله بحثا عن تجميع التاريخ الإنساني سعيا لامتلاك ذاكرة إنسانية تجمع أكثر مما تفرق، كما نلمحه في ظل التحولات العالمية، والحساسيات الدولية، وما تثيره من قضايا الكولونيالية وما بعدها، والحداثة وما بعدها، والعولمة، مما يجعل دولا كالجزائر، بتاريخ إما مغفل أو مغيب أو مسكوت عنه، يجعلها نهبا للتشتت، التشرذم، والضياع.

**- الأمير**، رواية تستلهم التاريخ بالتركيز على السيرة الذاتية للأمير عبد القادر، وهي لا تكتب سيرته، أو تاريخ الجزائر في تلك الفترة، إنها تستدعيه من خلال سيرة الأمير لقول ما لم يقل، وتكتب ما لم يكتب، فتظهر كأنما تكتب تاريخها الخاص**([[6]](#footnote-6))**؛ التاريخ الذي يمزج الأحداث الواقعية الماضية، المدونة في الحوليات والكتب التاريخية المعروفة، التي بالإمكان التحقق منها بالرجوع إلى مصادرها المعروفة، والسيرة التي تمزج الأحداث الذاتية الماضية، فتتجاوزها لأنها تمزج التاريخ والسيرة في شيء من الخيال والفن، لتغدو الرواية مغامرة تستكشف غيابات التاريخ، وتستنطق المسكوت عنه، وتنبش المغيب، بحثا عن تاريخها الخاص، وهو أدب ينطلق من التاريخ، ويفارقه في آن لأنه يكتب تاريخه الخاص، بمنظور، وموقف خاصين، ويريد إلى حقائق وغايات خاصة، تدعو إلى التغيير والاختلاف، وليس إلى الثبات والاستمرار كما تدعو إليه روايات التاريخ.

**- حارسة الظلال**، رواية تكتب تاريخها الخاص، بالرجوع إلى شق مهمل من تاريخ الجزائر، وهو التراث الشعبي، إذ تركز على حكاية امرأة أحبها رجل، فرقت بينهما الفوارق الاجتماعية، فهي كانت شريفة النسب بينما كان هو وضيعه، مما حكم على طريقهما بالاختلاف، فقد هاجر هو قبيلته بلا رجعة، وهربت هي من عائلتها واستقرت بأعلى منطقة في الجزائر العاصمة، فهابها الناس لظنهم بأنها متوحشة، ولما مسحت على وجه امرأة عقيم وبطنها وحملت، أكبرها الناس بعدها وعدوها سيدة مبروكة، ومن حينها غدت مزارا للناس وهي تنتظر عودة حبيبها (حمّو) حاملا معه الشمس، ليحميها من الظل ويغير علاقتها بالظل الذي بقيت تحرسه حتى استحالت إلى سيدة سديمية بدون سن، ومن الواضح أن حارسة الظلال ترمز إلى الجزائر الموصولة بتاريخ يضرب بجذوره في أعماق المقدس، والتي أجبرتها سنوات الإرهاب على الإقامة في الظلال تنتظر منقذا يخرجها من الظلال والظلام إلى النور ويهديها إلى مرفأ النجاة وبر الأمان**([[7]](#footnote-7))**.

**- البيت الأندلسي**، رواية تحكي عن دار أندلسية قديمة تريد السلطات و الديوان العقاري تهديمها ،لاستغلال مساحتها الأرضية في بناء برج كبير، فتسرد الرواية تاريخ نشوء البيت الأندلسي الذي بناه أحد المورسكيين الأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش المقدس في القرن السادس عشر، لتستعيد بذلك جزءا من تاريخها المفقود، ثم إن تناول موضوع التراث المعماري في الرواية، ما هو إلا مظهر آخر من مظاهر الاستدعاء التاريخي الذي يهدف إلى معالجة مشكلة الهوية الثقافية للجزائر، تحقيقا للمصالحة مع الماضي، وبالتالي مع الذات**([[8]](#footnote-8))**.

1. )- شوقي عبود، ***معجم أدباء العالم***، ص27. [↑](#footnote-ref-1)
2. )- غالي شكري، ***مذكرات ثقافة تحتضر***، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1، 1970م، ص257. [↑](#footnote-ref-2)
3. )- عبد اللطيف محفوظ، ***«الرواية التاريخية وتمثل الواقع (نجيب محفوظ نموذجا)»***، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، العدد438 ، السنة السابعة والثلاثون- تشرين الأول 2007 ، ص81- 90 [↑](#footnote-ref-3)
4. )- المرجع **السابق**. [↑](#footnote-ref-4)
5. )- عبد الله إبراهيم، ***الكتابة والمنفى***، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م، ص352. [↑](#footnote-ref-5)
6. )- عبد السلام أقلمون، ***الرواية والتاريخ - سلطان الحكاية وحكاية السلطان***، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان، ط1، 2010م، ص114. [↑](#footnote-ref-6)
7. )- أمين عثمان، ***فصول في الرواية المغاربية***، سلسلة إضاءات2، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2012م، ص185- 186، 189. [↑](#footnote-ref-7)
8. )- حسن مودن، ***الرواية و التحليل النصي، قراءات من منظور التحليل النفسي***، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2009 ، ص56. [↑](#footnote-ref-8)